بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أدعو الله أن يظهر هذا الكتاب وقد كفت الدول العظمى عن أن تستبق سباقها الأعمى لإفناء العامل. وفي خزائنها من القنابل الذرية ما يكفي ليميت أهل الأرض موتات! فالحياة نعمة الله فتق من أجلها السموات والأرض، وأمضى عليها مئات الآلاف من السنوات لتصلح الأرض لعباده فيستخلفهم فيها. وليس لأحد غيره أن يأخذ البشرية أخذة رابية لا تبقي على وجه الأرض أحدا، أو يجعل الكوكب الذي استخلف البشر فيه غير صالح للحياة أبدا.

بهذا كان خاتم رسله "عليه الصلاة والسلام" يستحي الأنفس، ولا يهلك العدو ولو كان دفاعا عن النفس والدين والوطن، بل كان يتفادى الحروب ما أمكن، ويخطب الجند بما يجب أن يستحضره الخلق جميعا:

".. ولا تتمنوا لقاء العدو.. ولكن قولوا: اللهم اكفناهم بما شئت.. واكفف بأسهم عنا.. اللهم نحن عبادك وهم عبادك. ونتواصيهم بيدك..

وإنما تفنيهم أنت".

ولقد آن لنا، ولكل إنسان – وبخاصة الآن – أن نلتمس الأسوة الحسنة من هذه السيرة العطرة والله تعالى يقول لصاحبها عليه الصلاة والسلام {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}.

وهذا الكتاب "تناول موضوعي" يستجيب لحاجات عصره. فهو قد يظهر القارئ على "شكل" متكامل – بعض التكامل – لمعان في الأداء العظيم للرسالة تتقاسمها بعض المؤلفات فتقربها من الشتات في هذه الحقبة من أوائل القرن الخامس عشر للهجرة و(أواخر القرن العشرين للميلاد)، أو يكتفي بعض آخر بقليل من "الوقائع" الخطيرة، كأنها فلتات.

والكتاب الحالي يستمد مادته من (داخل السيرة) والتراث المسلم، ولا يلتفت إلى أقوال مبشر أو مستشرق، والحمد لله الذي طوى سجل الاستعمار. فقد كانوا عماله.

والمسلمون اليوم يواجهون انفجارا سكانيا وثقافيا، تغالبهم فيه من داخلهم قلة ما يعرفونه من تراثهم وكثير مما يدلي به إليهم ألقاه عليهم من نقله من المصادر المتاحة له، وقليل منها أعده المتخصصون.

ومع تفاقم الانفجار السكاني تجد نسبة الذين يعلمون بعض العلم بالسيرة أو السنة أو الشريعة تتقامأ حتى لتكاد تذوب إذا قورنت بنسبة الذين كانوا يعلمون منها بعض العلم في أواخر الحرب العالمية (١٩٣٩ – ١٩٤٥). كما تتزاحف نسبة الدين ولدوا بعد الحرب المشار إليها إلى نحو الثمانين في المائة من الأحياء، وليس فيمن عداهم من يعلم من علوم التراث إلا ما يكلف به ويفتح الله عليه بما شاء، وقليل ما هم.

ولقد أوضحنا من سنوات في كتابنا (القرآن والمنهج العلمي المعاصر) أن العالم كله يتبع المنهج القرآني في التفكير والممارسة التجريبية، وخصصنا صفحات بأقارير علماء أوربة المعاصرين. ولقد خصصنا الكتاب الحالي لبيان أن اتباع سيرة رسول الله ﷺ وشريعته هو اتباع (القرآن في حالة عمل). فما أحرى أن يهتدي بها العالم. وإذا كانت معجزات العلم تهدي علماء العالم اليوم ليسلموا، ففي تطبيق رسول الله للرسالة على مدى ربع قرن – إلا شيئا – معجزات تلمس الحواس وقوعها في سيرته.

ولذلك كان حفظ القرآن مقترنا بفهم السيرة لإعداد المسلم الحق.

يقول الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) "كنا نعلم السيرة كما نعلم سورة من القرآن".

* * *

والسيرة، وهي النبض الحي للعمل اليومي في حياة رسول الله ﷺ لها رواتها ومصادرها الأصلية في مئات الآلاف من الحديث، وإذا كانت السنة خصوصا في عموم السيرة لما تحرمه وتحله وتندب إليه أو تكرهه إلينا أو تبيحه، فقد دونتا في وقت واحد، وأقبل الفقهاء على السنن لأنها مصدر الدين بعد القرآن. ولم يتم تدوين السنن حتى كانت السيرة قد تم تدوينها، والسنن – مع التحري الذي لا نظير له – هي جزء أصيل من السيرة، فالسيرة مصدرها، ورجال السند محل

دراسة التاريخ الإسلامي، وعلى ما يصف المستشرق سبرنجر "لم تعرف في التاريخ أمة، ولا يوجد على ظهر الأرض أمة، وفقت لاختراع فن أسماء الرجال الذي يستطاع به أن تقف على ترجمة خمسمائة ألف رجل ومعرفة شئونهم".

وعلى هذا الكم الضخم من الحقائق بلغت فروع علم مصطلح الحديث وحده ستين ونيفا.

وقيل للإمام أحمد بن حنبل: كم يجب للرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي؟ مائة ألف؟ قال: لا... قيل.. خمسمائة ألف؟ قال: أرجو.

ومسند أحمد يحتوي نحوا من ثلاثين ألف حديث اختارها من بين نحو سبعمائة ألف.

والحق أن المفتي قد يجد حديثا بعيدا من حكم، ويرى مفت غيره أنه يدلي إلى الحكم بصلة. وعلى كل حال فآيات القرآن، وهي تبلغ ٦٢٣٦ آية تعتبر كلها مراجع للأحكام، والأصل القطعي المستنبط منها قد يفوق الأصل الخاص في القوة، والسنة والسيرة من هذا الباب، فالسيرة بتمامها مفسرة وموضحة للسنة، وللقرآن ذاته، فهي في ذلك سنن موضحة وشارحة وفي أحيان تكون السنة شارعة.

والسنة – كما يقول الحافظ ابن عبد البر – تنقسم قسمين أحدهما إجماع ينقله الكافة عن الكافة فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد خلاف. فمن رد جماعهم فقد رد نصا من نصوص الله. والضرب الثاني من السنة خبر الآحاد الثقات الأثبات، وهذا يوجب العلم والعمل جميعا.

ولا جرم أن الآيات وعلامات النبوة التي تتوارد علينا وقائع منها في الكتاب الحالي تقع في القسم الأول، والفقهاء يطلقون عليه "المتواتر" لفظيا كان أو معنويا، روته جماعة يؤمن تواطؤها عن مثلها حتى صاحب رسول الله عنه ﷺ، ومع هذا الثبوت الكامل جعل الله تعالى معجزة نبيه هي التحدي بالقرآن، ووعد بحفظه لتبقى معجزته حجة على كل الأجيال، وما يزال البشر عاجزا عن أن يأتي بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله، ومن السور ما لا تزيد عن كلمات عشرة!

وما يزال العلماء الغربيون يسلمون إذ يفهمون معجزات القرآن ويرونها تتحقق..

* * *

ومن حجج الإسلام الخالدة أن يصدر الجهاز العالمي للأمم المتحدة بيانا فيما أحاله عليه (١٩٧٤ – ١٩٧٥) مؤتمران للأمم المتحدة عن (السلام العالمي)، فقررا العلاج العالمي لأدواء العالم مضاهئا تماما لآيات الله في القرآن وسنة رسوله.. (فاليونسكو) تقرر:

١- أنه يجب مراعاة الوحدة في الأسرة البشرية، وعدم التمييز بين أفرادها في الحق في الحياة الكريمة.

٢- وحدة مصالح الجماعة البشرية والتخطيط لاقتصادها والعدل بين أممها دون تمييز.

ونصوص القرآن آمرة وناهية في البابين. فالله تعالى يقول: {إن هذه أمتكم أمة واحدة} ويقول: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}، ويقول: {لا إكراه في الدين}، ويقول: {وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}.

وسنقرأ فيما بعد سنن رسول الله في هذين البابين وفي كل ما في الوجود من فضيلة يصلح العالم بها.

ومن حجج الإسلام أن يقرر الفاتيكان (١٩٦٢ – ١٩٦٥) – حارس الكتاب المقدس – "أن التوراة تحتوي على الشوائب وكثير من البطلان"، وأن يقرر الأبوان – بنوا وبوامار – من قساوسة المعهد المقدس في بيت المقدس في عصرنا الحالي (أن الأناجيل كتبت ونقحت وصححت أكثر من مرة) في حين يشيد علماء الغرب بالكشوف العلمية الحديثة المذكورة في القرآن.

ومن حجج الإسلام على المستشرقين كتاب أصدره في سنة ١٩٨٥ في جزأين كبيرين مكتب التربية بالخليج العربي، قامت فيه جمهرة من العلماء بدراسات عن المستشرقين أظهرت أنهم نوعان: نوع مبشر بالمسيحية أو متعصب ضد الإسلام، ونوع يطبق في فهم شرائع الإسلام المبادئ التي شرعها الأحبار، والرهبان، للمسيحية.

وليس أفعل في الأنفس من ظهور الشوائب المشار إليها، في حين يظهر في القرآن كلما تقدم العلم معجزة يعد الله لها عقل العالم بالمعامل والمراصد والأدوات العلمية، ويتتابع لذلك إسلام العلماء. وفي الوقت ذاته تتابع فيه المعجزات الخاصة بخلق الكون، لتدل على أن خالق الكون ومنزل القرآن واحد.

{والله متم نوره}.

obeikandl.com